المراكز الاجتماعية فى الريف المصرى

للأستاذ سعيد زايد

آراء ومقترحات :

فى عدد أبريل من هذه المجلة قرأت بحثا قيما لحضرة الدكتور أحمد حسين مدير إدارة الفلاح بوزارة الشؤون الاجتماعية فى رفع مستوى الفلاح ، أشار فى النصف الأول منه الى ما يجب عمله نحو الفلاح المصرى لانتشاله من الوحدة التى يحيا فيها ، وليكون عنوانا على التقدم الذى ننشده لمصر ، فلا شك أن بلدا يعيش حوالى ٩٠ ٪ من سكانه يعيشون فى ضلالات الجهل ويتقلبون فى آلام المرض نتيجة لفقرهم المدقع ، لابد له من علاج حاسم وإلا حقت عليه كلمة الفناء ، وفى معرض تقليب الآراء المجدية فى الإصلاح المنشود أشار الدكتور حسين الى مشروع المراكز الاجتماعية واعتبره ناحية التطبيق العملى إذا أردنا بالقرية نهوضا عاما يشمل جميع أحوالها من ثقافة وعمران .

وفى الحق أن مشروع المراكز الاجتماعية من أهم المشروعات التى تفيد الريف المصرى لأنه يقوم على دراسة أهم مشاكل القرية ، ويحاول أن يتغلغل فيها ليوجه النصح والارشاد من غير أن يحس الأهالى بأوامر تملى عليهم ، ولا يخفى أن طريقة فرض الأوامر طريقة عقيمة فى الاصلاح ، ولقد فصل الدكتور حسين القول فى هذا المشروع ، وبودى أن أضيف بضع اقتراحات نشأت عندى من ملاحظة أعمال بعض المراكز علها تنفع بعض الشىء .

١ — وأول ما يلفت النظر فى المركز الاجتماعى هو اختلط بينه وبين الجمعية التعاونية الشىء الذى كان من نتيجته أن لا يميز الفلاح بينهما . فكلنا يعلم أن الجمعيات التعاونية قد نشطت فى الأيام الأخيرة نشاطا محمودا بفضل ظروف الحرب التى جعلت منها رسولا كريما وعميلا قانعا يحمل الحاجيات الضرورية الى المستهلكين بدون أمل فى ربح فاحش ، أقول إن ما عاناه الناس من غلاء الحرب جعلهم يقبلون على تلك الجمعيات بل يعملون على تكوينها لتكون لهم رسول رحمة من شبح الاستغلال الدنىء الذى جعله أثرياء الحرب دستورا لهم فى هذه الآونة ، وهذا فى رأيى السبب الأول فى انتشار هذه الجمعيات ، فحبذا لو فهم المشرفون المباشرون على تلك الجمعيات أو عملت إدارة التعاون على تفهيمهم لرسالة التعاون الحقيقية وخلقت منهم تعاونيين يفهمون الغرض الأساسى من التعاون ويعرفون أنه ليس مجرد توزيع سماد أو سكر أو شاى ، إذن لضمنا استمرار نجاح الجمعيات حتى بعد انتهاء الحرب ، وعلى كل حال فهذا موضوع آخر أرجو أن أعرض فيه بعض آرائى قريبا .

وانرجع الى موضوعنا فنقول، ان نشاط الجمعية التعاونية طغى على نشاط المركز الاجتماعى مما جعلها تستعمل كل مرافق المركز فى أغراضها، فلقد شاهدت فى أحد المراكز كوما من السكر موضوعا على مائدة الاجتماعات المخصصة لاجتماع لجان المركز وهكذا فى كل شهر وفى كل مادة توزعها الجمعية، وهذا . المظهر أقل ما يقال فيه أنه عدم احترام لقدسية هذه الاجتماعات زيادة على أنها مثال سيء يضرب لجموع الريفيين. على أن الأمر ليس مقصورا على هذا ، فقد يحدث أحيانا بعض الخلاف بين أعضاء الجمعية التعاونية قد يؤدى إلى خصام ، وهذا يستتبع حتما مجافاة للمركز الاجتماعى، وضمانا لتلافى هذا يجب ألا يكون أحد موظفى المركز عضوا فى مجلس إدارة الجمعية وان حق له ان يكون ضمن مشتركيها حتى لا يحشر نفسه فى نزاع لا ينتهى وحتى يستطيع أن يتدخل بما له من نفوذ أدبى لحسم أى خلاف ..... واذا كنا لا نتوقع أن يستمر الاقبال على الجمعيات التعاونية لنفس الروح التى نجدها الآن ، وإذا نحن لم نبادر بفصل الجمعيات الموجودة الآن من المراكز الاجتماعية توقعنا هبوطا فى تحمس الأهالى بالنسبة لها .

٢ — وقد يسأل سائل عن قيمة هذا التحمس وهذا الاقبال ونحن فى دار حكومية لا تكسد تجارتها بأعراض الناس. فنقول بأن الغرض الأساسى من المراكز الاجتماعية انما هو بث الشعور بالعزة والكرامة وتفهيم الناس بأن لهم قيمة فى الحياة، أى لا بد من مطالبتهم بحقهم فيها، ولذلك جلب المركز أنظارهم اليه ببعض ما فيه من وسائل التسلية كالراديو ، فاذا لم تتجه أنظارهم الى المركز ولم يجعلوا منه مكانا لمسامراتهم بدلا من المقاهى فقد هدم أول غرض من أغراضه الأساسية .

٣ — وتستتبع هذه الفكرة فكرة أخرى وهى أن يعرف رجال المركز الاجتماعى أنه لم ينشأ للأعيان فقط، بل انشىء أولا قبل كل شىء للفلاح الذى لا يعرف أكثر من فأسه وحقله ومنزله ، أنشىء ليعلم هؤلاء القوم أن لهم حقوقا وعليهم واجبات يجب عليهم أن يعرفوها ؛ أنشىء ليمحى آثار اليأس التى ما تزال مخيمة على القلوب من ذل القرون الماضية، أنشىء ليجعل منهم أناسا يفهمون الحياة ويقبلون عليها وليمحوا من على وجوههم حمرة الخجل التى تعلموها كلما كانوا فى مكان غريب عن منزلهم وحقلهم ..... فاذا فهم رجال المركز الاجتماعى هذه الفكرة وعملوا لها انتظرنا منهم خيرا كثيرا . فمادى المركز الاجتماعى لا بد أن يفتح أبوابه دائما للفلاحين، وأحسب أن الوزارة تدبرلة كل شهر مبلغا من المال ليصرف منه وليستطيع أن يقدم القهوة لزواره وأحسب أيضا أن الراديو يجب أن يكون لهم قبل غيرهم من موظفى المركز وبذلك يكون لهم رسول علم يوسع مداركهم .

٤ — واذا كان من المحتم أن يفتح نادى المركز أبوابه ليلا ونهارا وخاصة فى الليل حتى يتمكن الفلاحون من قضاء سهرة لطيفة تروح عن نفوسهم وتثقف عقولهم ، وجب أن يسكن موظفو المركز فى البلدة ، صحيح أن الدكتور حسين أشار إلى ذلك وفيما من اشارته أن جميع الموظفين يسكنون فى القرية التى بها مركز اجتماعى .

ولكنى أعرف مركزا اجتماعيا لا يسكن موظفوه فى القرية ، فالطبيب يعلل ذلك بعدم وجود مكان مناسب وبذلك لا بد له أن يسافر يوميا إلى مقر عمله ولا تسعفه المواصلات فيتأخر أحيانا عن الميعاد ولا يحضر فى بعض الأيام ، أما الأخصائى الزراعى الاجتماعى فيستأجر منزلا حقا ولكنه لا يتردد عليه إلا كالضيف العزيز يجعل شعاره "زرغبا تزدد حبا" ، وعلى كل حال فهذه ملاحظه عابرة أخشى أن تخرجنا عن الغرض المقصود من المقال ، ولكنى أود أن أقول بأن هذه البلدة أحسن بكثير من أى بلدة أخرى فى نظافة منازلها واستعدادها لاستقبال السكان القاهريين ، زد على ذلك بأننا نعرف أن من وسائل المركز الاجتماعى التغلغل فى صميم القرية لدراسة مشاكلها ، وأظن أن من العوامل المساعدة لذلك الإقامة فى البلدة .

٥ — ثم ما الحكمة فى اختيار الأخصائى الاجتماعى من خريجى الزراعة ، أظن أن الغرض الأساسى من ذلك كما يفهم بداهة هو إرشاد الفلاحين إلى الطريقة المثلى فى الزراعة ، ولذلك فإنى أقترح أن تنظم محاضرات موسمية فى الشؤون الزراعية كموسم القطن وموسم البرسيم وموسم الذرة وما إلى ذلك ، ويخصص الأخصائى بعض وقته للمرور على الفلاحين فى حقولهم لمناقشتهم فيما يعملون وإرشادهم إلى الطريق الصواب ، لا أن يكتفى كما هو الآن بعمل مزرعة نموذجية . فقد ثبت أن ذلك لا يؤدى إلى النتيجة المرجوة لأنه فى حالات المزارع النموذجية لا يلمس الفلاحون إلا المحصول الناتج من المزرعة ولكنهم لا يعرفون العمليات التى أدت إليه ، فهذا لو عرض عليهم المحصول فى محاضرة تبين ذلك .

٦ — هذه بعض آراء شخص عاصر تكوين أحد المراكز ولمس أعماله عن قرب ، فأرجو أن يلتفت إليها ولاة الأمور ويعيروها بعض اهتمامهم . ومقترحات لا تدعو إلى أكثر من فهم الرسالة واحترام القيم وعدم الخلط بين الاختصاصات والانتفاع بما يسره الله على أيدى الحكومة ، وأرجو أن نوفق فى مقال آخر إلى عرض أعمال لجان المركز الاجتماعى وإلى الطريقة التى يجب أن تسير عليها ، وذلك نتيجة لأخطاء ارتكبت — لا عن قصد — فى تبيان واجبها وفى رسم منهاج سيرها ، فاذا قيل بأن العاقل من اتعظ بغيره ، فان الأعقل من اتخذ من حوادث الحياة تجربة تقربه نحو الكمال .

سعيد زايد
ليسانسيه فى الفلسفة والاجتماع